مطرانية ملوى وأنصنا والاشمونين

الرؤية الارثوذكسية نحو العالم

نيافة الانبا بيمن

مكتبة المحبة

٣٠ ش كامل صدقي بالفجالة القاهرة تليفون ٩٠٣٨٢٥

مطرانية ملوى

وأنصنا والأشمونين

الرؤية الارثوذكسية نحو العالم

نيافة الأنبا بيمين

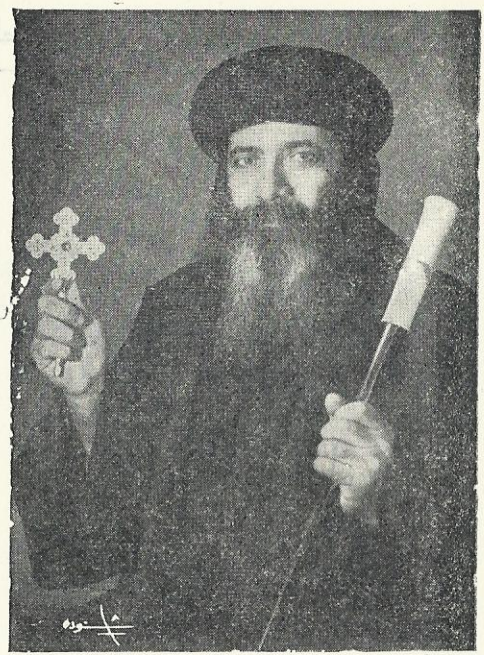

قداسة البابا الأنبا شنوده بابا الاسكندرية

وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

فى خدمتى للشباب القبطى، وجدت أن عدداً ليس بالقليل يخلط بين مفهوم الجسد بمعنى الشخص، وبين الجسد بمعناه الارادة الشريرة الهابطة، فأعطانى الرب أن أكتب كتاباً عن المسيحية والجسد الذى نشر متذحو الى عشرة سنوات لا يضاح أن الثنائية التى نقرأها فى الكتاب المقدس عن الجسد والروح ليس ثنائية كيان بل ثنائية ارادة.

وعلى نفس النمط يجمع الكتاب المقدس مفهومين لكلمة العالم، فهناك العالم الذى أحبه الله فبذل أبنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية، وهناك أيضاً العالم الذى يحذر الرسول المؤمنين منه ويقول لهم « لا تحبوا العالم ولا شيئاً مما فى العالم».. فما معنى أن المؤمن يلزمه أن يحب العالم ويلزمه أيضاً ألا يحب العالم؟! فما هو مفهوم ومضمون كل من العالم المحبوب والعالم الشرير وماهو موقف المؤمن والكنيسة ازاء كل منهما؟ وماهو دور التربية لتنمية وتعميق الاتجاهات السليمة ازاء الرؤية الأرثوذكسية الصحيحة نحو العالم بمفهوميه ؟.

هذا هو موضوع المقال. والله نسأل أن يرافق بروحه كل مانكتبه ليكون ذا فاعلية لتمجيد إسمه العظيم القدوس. آمين

الرؤية الارثوذكسية نحو العالم

فى الكتاب المقدس معنيان لكلمة العالم ، العالم بمعنى الخليقة المادية كلها بما فيها الجماد والحيوان والانسان . . هذا الذى خلقه الله وجاء ذكره فى الاصحاحات الأولى من سفر التكوين ، وعندما خلقه رأى أنه حسن جداً . .

والعالم بمعنى تيار الاثم والشر والفساد الذى يسرى فى الكون كله . . وهذا له رئيس إسمه بعلزبول . . وهو الذى يقاوم أولاد الله وله سماته الخاصة التى تتعارض تماماً مع حياة أبناء الملكوت ، وهو الذى أوصانا الكتاب المقدس ألا نحبه ولا نحب شيئاً مما فيه لأن كل ما فيه ليس من الآب .

وهذان المعنيان يتواكبان مع المفهومين اللذين وردا فى الكتاب المقدس عن الجسد . . فالجسد يقصد به الإنسان الذى خلقه الله ونزل من السماء ليفتديه ، وأصبح بعد الفداء هيكلا للروح القدس . . وصارت أعضاؤه أعضاء جسد المسيح على حد تعبير بولس الرسول .

والمعنى الثانى هو الإرادة الشريرة ، الكيان المستقل عن الله ، الإنسان العتيق الذى يميل الى الفساد ، ومن هنا جاءت الثنائية أن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح يشتهى ضد الجسد ،

وأعمال الجسد هى زنا ـ نجاسة ـ عهارة ـ حسد ـ قتل ـ طمع ـ عبادة أوثان ـ بدع ... الخ

واذا ما أردنا أن نوضح الرؤية الأرثوذكسية نحو العالم، لا بد لنا أن نبرز الاتجاهات الأرثوذكسية ازاء المفهومين السابق ذكرهما.

أولا : العالم كموضوع محبة الله :

ان الفلسفة المثالية التى كانت تسود الفكر المسيحى الغربى فى العصور الوسطى أقامت الثنائية الحادة بين ماهو مادى وماهو روحى وهى التى فصلت الحياة عن الدين ، وأعطت للحياة الروحانية طابعها السرى البعيد تماماً عن حياة الإنسان العملية اليومية ، وهذه الفلسفة هى التى أثمرت الحركات المادية التى كان يموج بها القرن التاسع عشر ، ولا يزال يحفل بها القرن العشرون .

فالفيلسوف المادى الألمانى فيورباخ Feurbach الذى نادى أن الإنسان لا يزيد فى كيانه عن المواد التى يأكلها ، انما هو رد فعل لموجة الكتابات عن الحياة الروحانية بمعزل عن حياة الإنسان المادية واليومية .

ونحن لا نجد فى الكتاب المقدس اطلاقاً هذه الثنائية الأزدواجية ، ففى الكتاب المقدس نجد أن الطعام الذى يأكله

الإنسان ، والعالم الذى يجب أن يأكل منه ليعيش ، هما منحة من الله ، وهما منحة بوصفها تشارك مع الله ، فالعالم بوصفه طعام للانسان ليس شيئاً مادياً محدوداً بالوظائف والأبعاد المادية ومخالفاً ومتعارضاً مع الوظائف الروحية الخاصة ، التى يرتبط بها الإنسان مع الله ، بل على العكس من هذا نرى أن كل ما هو كائن هو عطية الله للانسان ، وكل الكائنات تستهدف تعريف الله للانسان وتحويل حياته الى حياة الشركة مع الله .

إنها المحبة الإلهية وقد أصبحت طعاماً وحياة للانسان ، والله يبارك كل مايخلق تبعاً لتعبير الكتاب المقدس ، وهذا معناه أن الله يجعل كل الخليقة علامة ووسيلة لحضرته ولحكمته ولمحبته ولإستعلانه (ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب) ، فقد خلق الإنسان على صورة الله فى الحكمة والارادة والنطق ومحبة الكمال والقداسة ، لكى يجمع فى نفسه تسبيح الخليقة كلها ، ويقدم لله الشكر على عطاياه وهباته فى العالم ، انه يستجيب لبركة الله بأن يبارك الرب على أعماله . وهو فى الفردوس يعطى للكائنات أسماءها « كل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو إسمها » وفى الكتاب المقدس نجد أن للاسم معنى أبعد بكثير من مجرد تمييز شىء عن آخر . انه يكشف عن جوهر الشىء ذاته أو بالحرى عن جوهره كعطية من الله .

فتسمية الشيء هو اعلان للمعنى، وللقيمة المعطاة له من الله، واقرار بأنه من الله، ومعرفة مكانه ووظيفته داخل الكون المخلوق من الله.

والله بارك العالم، وبارك الإنسان، وبارك اليوم السابع أى (الزمن)، وهذا معناه أنه ملأ كل الكائنات بمحبته وصلاحه وخلق كل شيء حسناً، فالإستجابة الطبيعية إذن للانسان الذى أعطاه الله هذا العالم المبارك هو أن يبارك الله بدوره ويشكره ويرى العالم كما يراه الله.

فكل القدرات العقلية والنفسية والروحية التى ميزت الانسان وتركزت فى رأس وقمة الخليقة المادية تبلغ غايتها فى العملية الروحية التى هى أن يبارك الانسان الله ويشكره على عطاياه، وأن يتقبل العالم من يد الله لكى يقدمه لله قربان تسبيح وشكر دائم، ومعنى هذا أنه عندما يملأ العالم بهذه الروح الإفخارستية يحول حياته الخاصة تلك التى يتقبلها من العالم إلى حياة شركة مع الله.

فلقد خلق العالم بوصفه المادة، مادة الافخارستيا الشاملة، الكونية، كما خلق الإنسان بوصفه الكاهن لهذا السر الكونى. فما السقوط إذن؟ أنه ليس مجرد الأكل من الشجرة المحرمة، ولكنه تغيير وتضاد للعلاقة التى أرادها الله للانسان فى تعامله مع الكون والمادة والأكل.. إن الشجرة المحرمة لم تمنح

للانسان من الله ، فلأنها ليست مباركة من الله وليست مقدمة من الله ، أصبحت مرغوبة فى ذاتها، وليست كواسطة لتدعيم حياة الشركة مع الله ، لقد أصبحت هذه العملية صورة للعالم المرغوب فيه لذاته ، والأكل منها أوضح صورة الحياة كغاية فى ذاتها أيضاً ، وإنتفى وجود الله سر البركة وسر الحياة الحقيقية ،

هذا يعنى أن الإنسان أحب العالم، ولكنه لم يحبه من خلال الله بل على العكس اعتبره حياته وقوامه من دون الله . لم يعد يلحظ اليد المباركة التى قدمت له المادة والكون والطعام فانتفت حياة الشكر والتسبيح والإعتماد الكلى على الله ، فأصبح العالم ساقطاً لأنه سقط من الوعى بأن الله هو الكل فى الكل ، واللامبالاة بوجود الله فى العالم هى الخطية الأصلية التى أنزلت الخراب بالعالم (فى العالم كان والعالم به كون والعالم لم يعرفه) والإنسان فى العالم الساقط فقد سلطته الكونية أى أن يقدم العالم لله ذبيحة شكر وتسبيح . . لأنه إنحرف بمحبته عن إتجاهها الحقيقى الأصيل . إنه لا يعلم أن الحياة ليست فى المادة ، ولكن فى اليد المباركة التى قدمتها للانسان ، إنه لا يعلم ان التنفس يمكن ان يكون تشاركا مع الله . إنه لا يدرك أن الأكل يمكن أن يكون تقبلا للحياة من يد الله، إنه ينسى أن العالم وهواءه وطعامه لا يمكن أن يعطوا

الحياة بمفردهم ، وإنما يعطونها متى أقتبلوا من أجل الله ، وفى الله ، بوصفهم وسائط ومجالات للهبة الإلهية التى هى الحياة الحقيقية ، فهم فى حد ذاتهم لا يحملون إلا مظهر الحياة

فالعالم عندما يصبح هدفاً فى حد ذاته يفقد قيمته لأنه فى الله وحده توجد قيمة كل شىء ، والعالم لا معنى له إلا متى كان سراً لحضرة الله ، وعالم الطبيعة متى إنعزل عن مصدر الحياة أصبح مائتاً ، والذى يزعم أن الطعام فى حد ذاته هو مصدر الحياة يكون الأكل بالنسبة له تشاركاً من العالم المائت ، تشارك مع الموت . . (أنت تراب وإلى التراب تعود) .

فالخطية الأصلية ليست فى أن الانسان عصى الله فحسب ، وإنما لكونه قد نفى جوعه لله ، ولله وحده ، ولم يعد يعتبر حياته بأسرها مرتكنة على سر الحياة الحقيقية الذى هو الله ، السقوط هو أنه فضل العالم على الله ، وأفسد العلاقة السليمة بينه وبين العالم ، إنه جعل العالم ماديا تماما فى حين إنه كان يجب أن يحوله إلى الحياة فى الله ويملأه معنى روحانيا .

ولكن الله من محبته للانسان الذى خلقه على صورته لم يرض أن يبقى فى وادى ظل الموت بل أشرق عليه بالنور الالهى ، والنور الذى أرسله الله هو إبنه الوحيد الكلمة الذى سر به قلبه ،

وهو الحق الذى يعلن لنا سر الاب ، وهو الحياة (فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ، والنور أضاء فى الظلمة)

وكان تجسده المبارك هادفا الى إعادة الحياة للانسان ، وإلى تصحيح ما أفسده آدم فى الجنة، فوحد فى شخصه الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الانسانية بدون اختلاط أو امتزاج أو تغيير. فصار إبن الانسان كما هو إبن الله . وتعامل مع العالم ليس كهدف فى حد ذاته ، ولكن كعطية معطاة من الآب . فلم يأكل الا اذا رفع عينيه وشكر وبارك . ولم يرض أن يحول الحجارة خبزاً عند جوعه على جبل التجربة لأن العرض والاغراء كان من الشيطان، ولم يكن هذا داخلا فى تدبير الاب .

كما أعطى للبشرية جسده المقدس ودمه الكريم فى صورة خبز وخمر لتصبح المادة واسطة لإعطاء الإنسان الحياة الحقيقية (جسدى مأكل حق ودمي مشرب حق) (من يأكلنى يحيا بى) (انا هو القيامة والحياة، من آمن بى ولو مات فسيحيا) . فقد أراد الأبن أن يشير الى أن كل ما فى العالم هو للرب ، وان المؤمن يلزمه لكى يحيا حياة الشركة مع الله أن يجعل حياته الروحية والمادية فى شخص المسيح وألا يفصل العالم والمادة والطعام من روحياته . (من هو ليس روحانى فى جسدياته فهو جسدى فى روحياته . كما

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم) وعبر بولس عن هذا بقوله (إن أكلنا فللرب نأكل، وإن لم نأكل فللرب لا نأكل)، (إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. إن عشنا وإن متنا فللرب نحن) فالحياة الجديدة التى منحها الرب يسوع لمؤمنيه هى إمتلاك جديد للعالم، فيها يصبح العالم فعلا سراً لحضرة المسيح ونموا للملكوت وللحياة الابدية . إنها حياة تموت فيها الذاتية المستقلة والانا الرافضة للطاعة والشكر والتسبيح لله.

وما الفرح الذى يملا قلوب المؤمنين الا تعبير عن هذه الحياة الحقيقية التى يحياها أولاد الله ... حياة إنتفت فيها كثافة المادة وشهوانية الطعام وتأليه الذات.

ففى الكنيسة وبالأخص فى القداس الالهى نصل الى تقديم حياتنا فى شموليتها وكذا نفوسنا والعالم الذى نعيش فيه إلى الله مصدر الحياة الحقيقية.

وتقديم العالم لله هو الوظيفة، الافخارستية الأولى للانسان بل هى التى تعطيه ملء الكيان وتفسر سر وجوده وكيانه على الارض

الله بارك الزمن

لقد بارك الله اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل، بارك اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل، فاليوم

السابع هو إذن التقبل الفرح للعالم المخلوق من الله على أنه حسن ، والراحة المقصودة هي الاشتراك الفعال في «مسرة السبت» في قداسة السلام الالهي وملئه بوصفها الثمرة لكل عمل والتتويج لكل زمن

على أن هذا العالم الذي يبارك اليهودي يوم السبت هو نفسه العالم الساقط ، العالم الخاطىء المتمرد على الله ، وزمنه هو زمن سبي الانسان وتغربه عن الله ، فاليوم السابع اذن يشير إلى ما بعد نفسه ، والى يوم جديد للرب ، يوم الخلاص والفداء وانتصار الله على أعدائه.

وكما تجسد المسيح له المجد ليعيد العلاقة السليمة التي بين الانسان والعالم ، فقد قام المسيح في اليوم الثامن ليعطي المعنى الحقيقي للزمن . لقد قام من الاموات في اليوم الاول بعد السبت ، فهو اذن بداية حياة جديدة وزمن جديد . لقد أصبح اليوم الثامن والاول هو يوم الكنيسة ، وهو الذي تحتفي فيه الكنيسة بالأفخارستيا ، سر صعودها إلى الملكوت وإشتراكها في العشاء المسياني في الدهر الآتي. ففي هذا اليوم تحقق الكنيسة نفسها بوصفها الحياة الجديدة .

على أنه يلزم أن نشير الى أن اليوم الثامن هو يوم محدد ، فلو أن المسيحية كانت روحية محضا متعلقة بالأمور الاخروية فقط ، لما كان هناك حاجة الى يوم محدد ، لأن الروحانية لا إهتمام لها بالزمن . فلا يحتاج الإنسان لخلاص نفسه الى تقويم . فلم

يكن المقصود به يوما مقدسا مقابل الايام اللامقدسة ، ولا ذكرى حدث معين فى التاريخ . إن معناه الحق هو تحويل الزمن لا التقويم . فقد ظل يوم الاحد يوما من الايام ، أول الاسبوع الخاص بالعالم تماما ، ولكنه فى الوقت عينه كان هو اليوم الذى يتم خلاله الصعود الافخارستى ، وعن طريق اصعاد الذبيحة يتكشف يوم الرب ويظهر فى كل مجده وفاعلية تحويله كنهاية العالم الساقط وبداية العالم الآتى . وهكذا خلال هذا اليوم الواحد تحولت كل الأيام وكل الازمان الى أزمان وتذكارات وتوقعات ، تذكار هذا الصعود لأننا قد رأينا النور الحقيق ونتوقع مجيئه . فكل الأيام والساعات اصبحت تشير الى هذه النهاية لكل حياة طبيعية إلى بداية الحياة الجديدة . فلم يعد الاسبوع مجرد تتابع أيام لامقدسة مع استراحة فى اليوم المقدس آخرها . بل أصبحت حركة من جبل التجلى الى العالم ، ومن العالم الى الابدية . واكتسب كل يوم وكل ساعة اهمية ووقارا لم تكونا له من قبل فكل يوم اصبح الآن درجة فى هذه الحركة ولحظة تقرير وشهادة . فلم يكن يوم الأحد إذن يوما مقدسا ، يوما يراعى يجب حفظه ، ويفرق بينه وبين غيره من الايام ، فهو لم يعترض الزمن بنشوة روحانية لازمنية وانما بقاؤه أحد الأيام العادية مع كونه يوم الافخارستيا أعطى لبقية الأيام معناها

الحقيقي. لقد جعل زمن هذا العالم زمنا للمنتهى، كما جعله أيضاً زمنا للبداية.

فقد أضفى الرب يسوع بقيامته على الزمن معنى جديدا فهو وإن أبقاه فى الدهر الحالى، الا أنه أيضا أدخله فى أعقاب الابدية، عندما أصعد ذبيحته الى الآب السماوى ووجدت عنده قبولا ورضا.

المسيحى يحب العالم

يقول الكتاب «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية» يو ٣ :١٧ وفى موضع آخر يقول «لأن الله لم يرسل إبنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» يو ٤ : ٤٢

فاذا كان الله بين محبته لنا لأننا ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا حتى أنه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضا باطاعة الواحد سيجعل الكثيرون ابرارا.

فالمسيحى بعد تجدده أصبح كاهن الخليقة كلها والمسئول عن التشفع عنها فى صلواته، والكنيسة الارثوذكسية تعى هذا جيدا، ولذا نرفع أواشيها وصلواتها عن الخليقة كلها، البشر مسيحيين وغير مسيحيين، الحكام والشعب، الارض والمياه، الزروع والعشب، الكور والجزائر والأديرة، الهواء والحيوان والخليقة كلها، لكى الرب الاله يتراءف عليها جميعا ويرحمنا ويغفر لنا خطايانا.

وكذلك فى التسبحة تنطق الكنيسة فى تسبحة الفتية الثلاث بتسابيح وتماجيد نيابة عن الخليقة المادية كلها .

ولا يقف حب المسيحى للعالم عند حد الصلاة فقط ، وإنما يتعداه إلى إتخاذ المواقف العملية أيضا ، فهو ملتزم بالعمل لكى يفلح الأرض ويصلحها ويسود عليها ويرقيها بانتاج أفضل لخير الإنسان والحيوان . وهو ملتزم أيضا بأن يستخدم كل قدراته الفكرية لإسعاد البشرية وترقيتها وخدمتها . ومع هذه الإيجابية يلزم أن يبقى الله هدفا لكل عمل لأنه هو الألف والياء ، البداية والنهاية ، فهو يستعمل العالم ليس هدفا فى ذاته وانما لأجل تتميم الرسالة الموضوعة على عاتقه والشهادة المنوط بها . وفى هذا يصف الرسول بولس المؤمنين انهم يستعملون هذا العالم وكأنهم لا يستعملونه ، لأن هيئة هذا العالم تزول (١ كو ٧: ٣١)

وتحرص الكنيسة على إيجاد فرص كثيرة لأولادها ، وأهمها فترات الصوم الطويلة كالصوم الكبير ليختبر كل مؤمن نفسه لئلا يكون قد وقع فى بالوعة المادية ، وفقد الشفافية ، وضاعت الرؤية ، ولم يعد يرى الله فيما يعمله من أعمال وخدمات .

هنا تصبح فترات الخلوة والإعتكاف والأصوام والنسك بمثابة وقوف على ربوة عالية لإكتشاف الموقع والتعرف على

الدرب والحذر من المتاهات والمنزلقات .

الخليقة كلها ستعتق من الفساد :

يقول معلمنا بولس الرسول : « إن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله ، إذ أخضعت الخليقة للبطل ، ليس طوعاً بل من أجل الذى أخضعها على الرجاء . لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله ، فاننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن . وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا». (رو ٨ : ١٩ — ٢٣)

ومعنى هذا أنه فى اليوم الأخير لن يخطف الإنسان من بين الخليقة ، بل إن الخليقة كلها ستخلص وتتمجد معه . حينئذ رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا . (رؤ ٢١ : ١)

وكما يشير تجلى المسيح إلى قيامة الأجساد فى اليوم الأخير ، فانه يشير أيضاً إلى التحول الذى سيتناول الكون كله ، ذلك لأنه على جبل طابور لم يتجل وجه المسيح فقط بل سطعت ثيابه أيضاً ، إشارة إلى أن المادة سوف تتجلى أيضاً مع تجلى الإنسان.

وكما إن الخليقة المادية كلها تلوثت بفساد الإنسان وسقوطه

كما يقول القديس أثناسيوس الرسولى ، فان الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد عندما يتمجد الإنسان ويلبس الجسد النورانى فى المجىء الثانى .

وإذا كانت الكنيسة الأرثوذكسية تقدس المادة فى الأسرار الالهية وصنع الأيقونات المكرسة فى الكنائس ، وأضحى الماء والزيت والخشب والخبز والخمر مجالات للتقديس ووسائط لنيل النعمة الالهية ، فان المادة سوف تتجلى عندما تتحل العناصر وتذوب ، ويقيم الرب أرضاً جديدة يسكن فيها البر إلى الأبد حسب وعده المبارك « ها أنا أصنع كل شىء جديداً »

ولقد رأى يوحنا بعين النبوءة سماء جديدة وأرضاً جديدة ، هى مسكن الله مع الناس ، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم ، والموت لا يكون فى ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فى ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت . (رؤ ٢١ : ١ — ٤)

وسوف يأتى يوم يتجدد الإنسان وينجلى ويتمجد جسداً وروحاً ، ويصبح فى حياة شركة دائمة مع الله ، وسوف تنال الخليقة المادية بعضاً مما ناله كاهنها وسيدها ، أوكما كان التشتت والاضطراب من خلاله سيكون التجلى والتجدد معه أيضاً .

لم تؤثر هذه الاتجاهات فى حياتنا الروحية والاجتماعية . إننا لن نرى المادة فيما بعد نجاسة أو فساداً ، ولن نعتبرها ضد الروح كما ترى الأفلاطونية ، ولكنها مجال مبارك لحضور روح الله وتقديس الكون كله . .

الإنسان مسئول عن العالم ، ومسئول أن يملأ الأرض ويخضعها ويتسلط عليها ويغنيها ويخصبها عملا وانتاجاً وفكراً وحياة ورقياً ونمواً إلى اليوم الذى ينهى فيه الرب الزمن ، ويدخل القديسين إلى ملكوت أبيه « ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر ما أعده الله لمحبى اسمه القدوس » .

ثانياً: المسيحى لا يحب العالم:

نأتى إلى المفهوم الثانى للعالم وهو الموصوف فى الكتاب بالعالم الشرير والمعتبر عداوة لله . .

يقول معلمنا يوحنا : « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الاب ، لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الاب بل من العالم . والعالم يمضى وشهوته . وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد » (١ يو ٢ : ١٥ — ١٧)

وهذه الآيات تشرح لنا ما سبق ذكره ، وهو أن العالم

فى حد ذاته لم يكن شريراً ؛ ولكن الفساد والانحراف الذى دخل إلى العالم خلسة بحسد ابليس هو الذى أدى إلى وجود كيان ، ووجود ارادة مضادة لمشيئة الاب . أما الكيان فهو الذى عبر عنه الكتاب برئيس هذا العالم إذ يقول الرب يسوع « لا اتكلم أيضاً معكم كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شىء ولكن ليعلم العالم أنى أحب الآب وكما أوصانى الآب هكذا أفعل » . (يو ١٤ : ٣٠)

هذا العدو قد دين بصليب المسيح كما يقول الرب : « وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين » . (يو ١٦ : ١١)

ويقول الكتاب أيضاً : « إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه » ، (كو ٢ : ١٥) ويطلق عليه الرسول بولس رئيس سلطان الهواء ، الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية ، ويوضح مدى سلطانه على الناس قبل الفداء فيقول: « الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلا بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار ، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً . الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح بالنعمة أنتم مخلصون » . (١تس ٢ : ١ — ٨)

وهذه بعض الأمثلة لبغضة المؤمن لروح العالم.

* انه يشهد للحق ويحيا بروح الحق أما العالم فلا يستطيع أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . (يو ١٤ : ١٧)

وكل من يشهد عليه وعلى أعماله الشريرة فان العالم يبغضه ويحاربه (يو ٧ : ٧) .

* ويسعى جاهداً لصلب الجسد مع الأهواء والشهوات حتى لا يكون للعالم نصيب فى حياة المؤمن لئلا يخسر نفسه .

« لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، وماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه . (مت ١٦ : ٢٦)

والغلبة لا تكون إلا بنعمة الإيمان « هذه هى الغلبة التى تغلب العالم إيماننا » . (١ يو ٥ : ٤)

* إنه يستعمل العالم دون أن تلوث الذات معاملته . أى أن يحرص على أن يبقى الله وحده هو الهدف الأول والأخير « يستعملون العالم ، وكأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول » . (١ كو ٧ : ٣١)

ويقول بولس الرسول : « عزمت ألا أعرف بينكم إلا يسوع واياه مصلوباً » .

« وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر الا بصليب ربنا يسوع

المسيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم » . (غلا ٦ : ١٤)
* يرفض حكمة هذا العالم وطرقه الملتوية .

ويوضح هذا الرسول بولس بقوله : « ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله »

أما الإنسان الطبيعى (العالمى) ، فهو لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً ، وأما الروحى فيحكم فى كل شىء وهو لا يحكم فيه من أحد ، لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه ، وأما نحن فلنا فكر المسيح . (١ كو ٢ : ١٢ — ١٦)

افتداء الوقت :

ولأن المسيحى يعلم أن العالم يمضى وشهوته ، وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد ، تراه نشطاً كالنحلة التى تجمع رحيقا من كل زهرة ، يسرع إلى إظهار محبته وسكبها على كل من يحتاجها وينال بركة الخدمة فى كل ما يعطيه الرب اياها .

فاذا كانت الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقاتهم ، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم . (يع ١ : ٢٧) فان المسيحى الروحى يحرص على افتداء الزمن لأن الوقت مقصر والأيام شريرة ، وهو لا يعلم متى تنتهى الحياة ، فان يوم

مجيء الرب كلص .. إنه يسرع إلى تنمية كل ما يتناغم مع الخلود فى حياته وهما الحب ، القداسة كما فى تشخيص يعقوب الرسول . وبالمدى الذى يملأ المؤمن قلبه من زيت البهجة والخلاص ، وينعش روحه بالحب والقداسة ، بالمدى الذى يسطع فى نور الأبدية مع القديسين فى المجد . فطوبى لأولئك العبيد الساهرين الذين إذا جاء سيدهم يجدهم يفعلون هكذا . .

إن التوبة والصلاة وعمل الرحمة والخير فى اللحظة الحاضرة ، فى الآن الحاضر ، هو الوجود بمعناه الحقيقى ، وهو تجلى الحاضر وإدخاله الأبدية ، وهو الضمان لعدم السقوط تحت سلطان الزمن المتهالك المبتعد عن الكيان الإلهى فى ملل وسأم ويأس وحزن ردىء .

موقف الكنيسة من العالم :

إذا كانت الكنيسة هى مجال الشفاعة والصلاة لأجل العالم كله ، لأجل الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون . الذين يصلون والذين لا يصلون ، الاحرار والمستعبدين بأى نوع من العبودية . . إذا كانت الكنيسة مسئولة عن هذا كله إلا أنها مسئولة أيضاً أن تكون نموذجاً طاهراً ومثالا نقياً للحياة فى العالم دون أن تكون للعالم أى لا يكون لها أدنى علاقة بروح العالم الشرير .

وقد أوضح الرسول بولس هذا جيداً فى رسالته الاولى إلى

كورنثوس إذ يقول : « كتبت إليكم فى الرسالة أن لا تخالطوا الزناة ، وليس مطلقاً زناة هذا العالم أو الطماعين أو الخاطفين أو عبدة الاوثان ، وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم . وأما الآن فكتبت إليكم إن كان أحد مدعواً أخا زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا . لانه ماذا لى أن أدين الذين من خارج . ألستم أنتم تدينون الذين من داخل . أما الذين من خارج فالله يدينهم ، فاعزلوا الخبيث من بينكم » . (١ كو ٥ : ٩ — ١٢)

ومعنى هذا أن الرسول يتوقع أن يمتلىء العالم بالزناة الذين يسلكون تحت سلطان رئيس هذا العالم .. هؤلاء هم خارج دائرة الإيمان ، نحن نتعامل معهم ، ونحن عارفون أنهم أهل العالم . حقيقة أننا لا نترفع عليهم ، ولكن نصلى لاجلهم لكى يتوبوا ويقبلوا إلى معرفة الحق . وأما الكنيسة فلا يصح إطلاقاً أن يكون بين شعبها وأعضائها زان أو شتام أو سكير أو طماع لان وجود أمثال هؤلاء كفيل أن يذبذب الصورة ويفسدها : تصبح الكنيسة غير واضحة المعالم ، تصبح عاجزة عن الشهادة لانها ملومة إذ تحمل فى أبراجها من هم عملاء لرئيس العالم وخونة للحق وأعداء لصليب ربنا يسوع المسيح .

الكنيسة يلزمها أن تكون طاهرة كالشمس حتى تصبح

جميلة مرهبة كجيش ذى الوية .

والمحتج ترتليانوس من القرن الثانى الميلادى يكتب فى احتجاجه للقيصر يقول له : « لماذا تقدم المسيحيين الى ساحات الاستشهاد ان وجدت فيناواحدا زانيا أوفاسدا أو شريراً فخذنا كلناومزقنا اربا اربا » لقد كانت كنيسة الرسل حريصة على طرد روح العالم ، فحنانيا وسفيره أماتهما روح الله لأنهما استخدما منهج الكذب ، وسيمون الساحر لعن من بولس لأنه أراد أن يشترى مواهب الروح بالدراهم ، وديماس لم يستطع أن يبقى فى الشركة مع القديسين لأنه أحب العالم الحاضر . وكلما كان مناخ الكنيسة نقيا شاهدا للحق فانه بطبيعته يكون نورا ، والتوريطرد الظلمة والظلمة لا تدركه . أما روح العالم من مداهنات وموائمات وتفضيل أنصاف الحلول ، والمجاملات على حساب الحق ، واللامبالاة بالوصية من أجل المنفعة الشخصية أو المنفعة العامة ، فهذه هى روح العالم ، وويل للكنيسة اذا دخلها العالم فانه يفسدها وتصبح كالسفينة التى دخلتها مياه البحر ، والسمكة الميتة التى يجرفها التيار ، وكالشباك الممزقة التى تلقى كل حين دون جدوى . وهنا ينطبق القول الالهى ويل لكم لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ، ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم اكثر منكم مضاعفا (مت ٢٣ : ١٥)

ومن الأمثلة على الفساد الذى دخل الى الكنيسة فى العالم الغربى حلقات الرقص ، وساحات القمار ، وصمت الكنيسة على الأباحية الجنسية عند المترددين على الصلوات والعبادة الكنسية وعجزها عن توبيخهم وقبول أموال الزناة وتجار الربح القبيح بحجة أن الكنيسة فى أمس الحاجة الى الناس وأموالهم .

لقد كان الصليب عثرة وسيظل هكذا . والرب عندما بين أن جسده مأكل حق ودمه مشرب حق ، تعب التلاميذ من الكلام ورجع كثيرون الى الوراء ، ولم يعودوا يمشون معه فقال يسوع للاثنى عشر العلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ! (يو٦ : ٦٦ و٦٧)

العلاقات التى تؤكد نقاوة الحياة الكنسية وخلوها تماما من روح العالم هى أن المؤمنين يعيشون بروح الحب والالفة والشركة والوحدانية ، يعيشون بروح القداسة والتعفف والكفاف ، يعيشون بروح اتضاع الفكر والطاعة لوصايا الرب وعمل روحه القدوس فيهم . وأن طرائقهم فى الحياة وأهدافهم تماما هى فى اطار النور والحق والحب معا .

العالم يضطهد الكنيسة :

لم يعد الرب يسوع كنيسته بوعود براقة أو حياة ترفل بحلل الرفاهية والترف وانما أنذر كل من يريد أن يتبعه أنه سيجد ضيقاً . . (فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا

أنا قد غلبت العالم يو ١٦ : ٣٣)

والرب فى حديثه الوداعى الأخير مع تلاميذه خاطبهم قائلا « ان كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم . لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم بل انا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم (يو ١٥ : ١٨ : ٢٠)

فمن الذى يضطهد ؟ انه رئيس هذا العالم الذى لا يطيق أن يجد أولاد الله يعيشون حياة التقوى بعيداً عن سلطانه ومن الذى يضطهدهم أولئك الذين رفضوا أن توضع عليهم سمة الوحش . هم الذين غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت .

ولماذا يضطهدون ؟ لأنهم يشهدون على العالم ويدينون أعماله الشريرة . فالذى يسلك بالروح لا بد أن يضطهد من الذى يسلك بالجسد . تماماً كمن يحمل نوراً أمام أعين رمضاء

فأصحاب العيون المريضة ترفض النور وهذا ليس عيباً فى النور بل فى المرض الذى فى العيون . هذا ما قاله الكتاب (وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة) والرسول بولس فى رسالته لغلاطية يتخذ هاجر وسارة مثالا ورمزاً للجسد والروح ، كما يقارن بين جبل سيناء وأورشليم العليا كالفارق بين العبودية وحرية مجد أولاد الله فيقول « ولكن كما كان حينئذ الذى ولد حسب الجسد

يضطهد الذى حسب الروح هكذا الآن أيضاً » . (غلا ٤ : ٢٩)

على المؤمن أن يفحص نفسه جيداً لئلا يكون فيه شيئاً يشتكى عليه منه. واذا تأكد فى بصيرة الحق ونور الانجيل أنه غير ملوم فلا يجب أن يستغرب اذا جاءته الضيقات والآلام بل يعتبر مايحدث فى حياته هبة ذات مستوى أعلى من الايمان . (لقد وهب لكم لا أن تؤمنوا به فقط بل أن تتألموا من أجل اسمه) .

والرسول بطرس يشرح هذا الاتجاه فى رسالته الأولى قائلا «أيها الأحباء لاتستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة لأجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب ، بل كما اشتركتم فى آلام المسيح افرحوا لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين ان عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم أما من جهتهم فيجدف عليه وأما جهتكم فيمجد . فلا يتألم أحدكم كقاتل أوسارق أو فاعل شر أومتداخل فى أمور غيره ، ولكن ان كان كمسيحى فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل » ١ بط ٤ : ١٢ ـ ١٦ ونود أن نشير أنه ليس معنى هذا أن المسيحية شحنة من التشاؤم والألم والتعب والضيق ، وانما على العكس تماما فانه ان كان العالم يضطهد أولاد الله لأنهم لايشتركون فى أعمـــال الظلمة بل بالحرى يوبخونها الا أنهم يحملون عبر هذه

الأحزان الظاهرية قلوبا ممتلئة بالفرح الحقيقي وبهجة الخلاص.

هذا الفرح الذى عبر عنه الكتاب أنه لا يتطق به ومجيد ..وهو عزاء المؤمنين لأنهم غير ناظرين الى الأشياء التى ترى بل الى التى لا ترى . لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فابدية انهم يمتلكون المسيح فى قلوبهم و كذا يسكن الروح القدس فى هياكل أجسادهم فهم مستعدون أن يبيعوا كل الحقل من أجل هذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن

ثالثاً : دور التربية ازاء الرؤية

يلزم لمنهج التربية الأرثوذكسية أن يواكب هذه الرؤية ويتفق مع الاتجاهات التى توضح موقف المؤمن من العالم بمفهوميه السابق ذكرهما.

ويمكننا أن نقترح فكرة رئيسية **Theme** . وخطاً فكرياً لهذا المنهج ليكون تحت نظر المربين سواء كانوا والدين أو خداماً للتربية أو معلمين للدين المسيحى بالمدارس .

مرحلة الطفولة

* يلزم تنمية الاحساس بجمال العالم والخليقة وأن كل شىء خلقه حسن وأنه مخلوق لأجل سعادة الانسان ومسرته ويمكن أن يتحقق هذا بالمشاهدة والتأمل والقصص ووسائل التعبير من رسوم وصور وجمع عينات وأشكال ومن ترانيم وغناء روحى.

* كذلك يلزم تنمية اتجاه الشكر لله على كل مايراه أو يسمعه أو يأكله أو يأخذه أو يتعامل معه فى هذا العالم الجميل

ويمكن تحقيق هذا الاتجاه بالتدرب العملى والممارسة فى الحياة اليومية قبل الأكل وبعده ، فى النزهات والرحلات ، فى المعاملات والعلاقات العائلية والمدرسية والاجتماعية .

* تنمية اتجاه الصلاة من أجل الجميع ، المرضى ، المنتقلين ، المسافرين مهما كان دينهم أو مذهبهم أو مركزهم الاجتماعى . وفى القداس الالهى مجال خصيب لتنمية هذا الاتجاه .

* يمكن أيضاً فى هذه المرحلة أن تحفظ بعض الصلوات والتسابيح من الليتورجيات الكنسية ليدخلها المؤمن فى صلاته الخاصة لاجل العالم والخليقة والكون مبتدئاً ومتدرجاً من بيئته المحلية والحى الذى يعيش فيه الى مدينته ثم الى وطنه ثم الى المسكونة كلها

* كذلك يلزم تنمية اتجاه مخافة الله فى مواقف الحياة ورفض كل ما يتعارض مع الوصايا التى سمعها وعدم التشبه بالرفقة الذين يتساهلون مع أنفسهم فى كسر الوصية (مثل الكذب — السرقة الشتيمة — اهانة الكبار وعدم احترامهم — تخريب الممتلكات العامة وتشويهها لعدم وجود رقابة مستمرة عليها ...)

* التدريب على ايجاد علاقات حسنة مع اناس يختلفون فى الديانة والمذهب والثقافة .. لان الله أحب العالم كله ويلزمنا أن نكون مثله .

مرحلة الفتوة

أما مرحلة الفتيان فهى تحتاج الى اتجاهات وتداريب أكثر عمقاً مثل

* ادراك أوضح لمسئولية الانسان ازاء الكون . ككاهن للخليقة كلها و كمسئول عن استخدام قوى الكون وامكانياته

* ادراك أعمق لرسالة الحب المسيحى فى العالم، وتطبيق عملى وممارسة فعلية لمجالات المحبة وأعمال الخير من أجل الله وحده (مجالات أعمال الرحمة والمحبة واسعة جدا فى كل مناحى الحياة)

* ممارسة أوسع لحياة التسبيح والشكر لله على كل أعماله سواء بتسبحة المزامير أو التسبحة الكنسية اليومية أو بالترانيم الهادفة (تكوين خورس تسبيح وترنيم للرب)

*قراءات أوسع وأعمق لما جاء فى الكتاب المقدس عن رسالة المسيحى فى العالم ودراسة للقديسين الذين خدموا العالم بسيرتهم وأعمالهم للتشبه بهم

* وعى أكثر عمقاً لمعنى الشر والانسان العتيق والذات والعالم الشرير وممارسة عملية لتجنب أعمال الظلمة والسلوك فى النور

* قراءات أوسع وأعمق للقديسين فى جهادهم ضد الفساد الذى فى العالم وتطبيق عملى لهذه النماذج فى الحياة اليومية

* مقاومة لاتجاهات التعصب والتحير والانغلاقية ورفض من يخالف الدين والمذهب والثقافة

مرحلة الشباب :

* إدراك واضح وعميق لحياة الإنسان قبل المسيح وبعد الفداء،

وتفهم متفتح واع لأهداف التجسد والفداء فى علاقة الإنسان مع الله ومع نفسه ومع الآخرين الذين يعيشون معه فى العالم.

* تطبيقات عملية لتحقيق الاتجاه أن يكون العالم سر حضرة الله وأن الكون والمادة والطعام خلق لتدعيم حياة الشركة بين الانسان والله
* تطبيقات عملية لدور الإنسان إزاء العالم وتقبله من الله وتحويله إليه ، هذه الحركة الافخارستية الشاملة، (فى الصلوات الخاصة، فى الصلوات الكنسية، وفى حياته اليومية فى أكله ودراسته .. الخ
* تطبيقات عملية لمداومة حياة الشكر والتسبيح لكل عطايا الله التى فى العالم
* تطبيقات عملية لإفتداء الوقت وتقدير أهميته فى مضمون الخلاص وانتظار المجىء الثانى .
* تطبيقات عملية لعدم مخالطة الزناة والاشرار وعزل الخبيث من الجو الكنسى مع الصلاة لأجلهم وعدم إدانتهم .
* تطبيقات عملية لرفض طرق العالم الملتوية فى السلوك اليومي مثل الفهلوة ، الكذب ، الغش ، المداهنة والرياء والتفاق ، ضياع الوقت فى الهزار وتفاهة الاحاديث ، استخدام ألفاظ (سيبك صهين وأنا مالى) التى تدل على اللامبالاة وعدم جدية الحياة.
* التدرب على عدم إصدار أحكام اجتماعية على قضايا دينية وعدم إصدار أحكام دينية على قضايا اجتماعية (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله)

مراجع المقال

١ — الكتب الطقسية الكنسية

٢ — A. Schmemann: Sacraments & orthodoxy
ST.Vladimiri's Seminary Press 1973

٣ — V. Lossky : In The Emage & Likness Of God 1974

٤ — كمال حبيب : المسيحية والجسد

المحتوى

الموضوع	صفحة
العالم كموضوع محبة الله	٥
الله بارك الزمن	١١
المسيحى يحب العالم	١٤
الخليقة ستعتق من الفساد	١٦
المسيحى لا يحب العالم	١٨
افتداء الوقت	٢١
موقف الكنيسة من العالم	٢٢
العالم يضطهد الكنيسة	٢٥
دور التربية إزاء الرؤية	٢٨

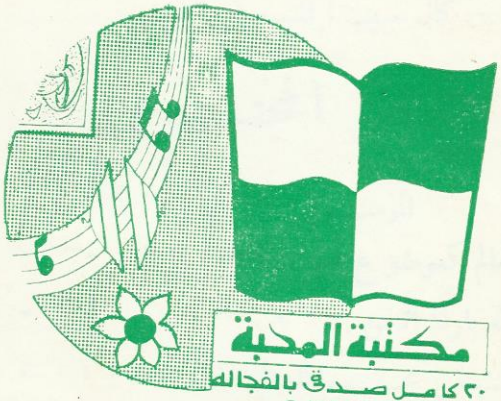

مكتبة المحبة
٣٠ كامل صدق بالفجالة
ت ٩٠٣٨٢٥
كتب دينية ـ صور دينية طقسية ـ ألحان المحبة
دروس التربية الكنسية ـ أدوات كنسية ـ هدايا ـ براويز